يسوع والمرأة الزانية : إعلان عن سلطانه الإلهي

بقلم : ديفيد اديب[1]

تُعتبر قصة المرأة الزانية التي أُمسكت في ذات الفعل وجاء بها الفريسيون إلى يسوع لاختباره واحدة من أكثر الروايات الإنجيلية إثارة وتشويقًا ، وربما من بين الأقرب إلى قلوب الكثيرين . نظرًا لأن النساء الزانيات كنّ من أكثر الفئات ازدراءً في المجتمع ، فإن التفاعل بين يسوع وهذه المرأة كان ليُعدّ مثيرًا للجدل وفقًا لمعايير المجتمع اليهودي في القرن الأول وكذلك لمعايير عصرنا . قبل أن نتعمق في دراسة الدلالات اللاهوتية التي تستند إليها القصة ، قد يكون من المفيد تقديم ملخص سريع لأحداثها الرئيسية لأولئك الذين قد لا يكونون على دراية بتفاصيلها .

الرواية بحسب يوحنا

بينما كان اليهود يحتفلون بعيد المظال الذي يستمر لمدة أسبوع ، وكما كانت عادته ، كان يسوع يُعلِّم في الهيكل أثناء العيد . وبعد انتهاء العيد ، عاد الجميع إلى بيوتهم ، لكن يسوع ذهب إلى جبل الزيتون ليقضي الليلة هناك ، حيث كان ينوي العودة في اليوم التالي ليواصل التعليم في الهيكل . في اليوم التالي ، عاد إلى الهيكل ، وجلس وبدأ يُعلِّم الناس الذين تجمعوا حوله للاستماع إلى تعاليمه . وفي ذلك الوقت ، جاء الكتبة والفريسيون لاختباره .

في افتتاحية هذا المقطع ، يكتب يوحنا "وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا" ووضعوها في وسط ساحة الهيكل حيث كان يسوع يُعلِّم (يوحنا 8 : 3) . وسرعان ما سألوا يسوع ما إذا كان يجب عليهم أن يرجموها حتى الموت كما يأمر ناموس موسى . ومن المفيد أن يوحنا أوضح لقرائه أنهم فعلوا ذلك فقط لاختباره . بدا أن يسوع لم يهتم بإصدار حكم فوري ، عالماً نوايا قلوبهم الشريرة . وبدلاً من ذلك ، انحنى وبدأ يكتب بإصبعه على الأرض . لاحظ أن كل هذا حدث في الساحة الخارجية للهيكل ، وكانت الأرض على الأرجح ترابية غير مرصوفة (وهذه تفصيلة مهمة سنعود إليها لاحقًا!) .

عندما استمر الكتبة والفريسيون في مطالبة يسوع بإعطائهم إجابة ، وقف ونطق بأحد أشهر أقواله : "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر" (يوحنا 8 : 7) . ثم انحنى مرة أخرى واستمر في الكتابة على الأرض بإصبعه . فشعر الشيوخ الذين أحضروا المرأة بتأنيب الضمير نتيجة إجابته ، فبدأوا بمغادرة المكان واحدًا تلو الآخر ، من الأكبر سنًا إلى الأصغر . وعندما لم يبق أحد سوى المرأة واقفة في الوسط ، وقف يسوع وأعلن للمرأة أن خطاياها قد غُفرت ، وأن كل ما عليها فعله هو ألا تخطئ بعد الآن .

على الرغم من قصر هذا المقطع ، إلا أنه مليء بالتفاصيل الدقيقة التي تحمل دلالات لاهوتية هامة ، كما سنرى فيما يلي . أولاً ، دعونا نلقي نظرة على الاختبار الذي وضعه الفريسيون أمام يسوع في محاولة لإيجاد شيء ضده .

---

[1] اضغط هنا لتقرأ المقال الاصلي و الذي تم نشره باللغة الانجليزية .

الزنا في شريعة موسى

كان السؤال الذي طرحه اليهود على يسوع بسيطًا للغاية للوهلة الأولى : هذه المرأة أُمسكت وهي ترتكب الزنا ؛ هل يجب أن نطيع شريعة موسى ونرجمها أم لا؟ بحسب الظاهر ، يبدو أن أمام يسوع خيارين فقط : إما أن يأمر برجمها ، وفي هذه الحالة لن يُعتبر بعد ذلك صديق الخطاة بين الجموع (أو هكذا ظن الفريسيون) ؛ أو أن يختار العفو عنها ، مما قد يجعله منتهك للشريعة ، وهو ما قد يؤدي إلى موته . الخيار الأول يبدو أنه يتعارض مع كل ما كان يسوع يعلّمه عن الرحمة والشفقة وغفران الخطايا . أما الخيار الثاني ، فكان سيضعه في مصادمة ليس فقط مع شريعة موسى ، بل مع شريعة الله نفسه!

في كتابته لهذا المقطع ، يعتمد يوحنا على معرفة قرائه بشريعة موسى ، لذا لم يتوسع في شرح ما ادّعاه الفريسيون . وترك الأمر للقارئ ليتبين ما إذا كان ما قاله الفريسيون دقيقًا بالفعل . ولكن بما أننا بعيدون قرونًا عن زمن كتابة يوحنا لهذه الكلمات ، فمن الحكمة أن نجدّد فهمنا لما تقوله شريعة موسى عن الزنا . ولهذا ، نتجه إلى سفر اللاويين .

في سفر اللاويين 10 :20 نقرأ : "وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَة ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَة قَريبه ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّاني وَالزَّانيَةُ ." . وتتكرر هذه الشريعة مرة أخرى في سفر التثنية 22 :22 : "إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعاً مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْل ، يُقْتَلُ الاَثْنَانِ : الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَة ، وَالْمَرْأَةُ . فَتَنْزِعُ الشَّرَّ منْ إِسْرَائيلَ ."

لاحظ أن كلاً من الرجل والمرأة يجب أن يُرجما حتى الموت . ولكن في الرواية الإنجيلية ، لم يكن هناك أي ذكر للرجل! فقد أحضر الفريسيون المرأة فقط ، كما يخبرنا يوحنا نفسه ، ليس لتنفيذ شريعة موسى ، بل للإيقاع بيسوع في كلامه .

لا نعلم بالضبط ما الذي حدث للرجل في القصة ، فذلك لم يُذكر في النص . ولكن بما أن الرجل لم يُحضر مع المرأة ، فمن المحتمل أن الفريسيين أمسكوا بالمرأة فقط وتركوا الرجل . يوحنا لم يخبرنا عن ذلك الجزء لأنه ليس ذا صلة بالرواية . ما يركز عليه يوحنا هو سبب إحضار الفريسيين للمرأة وكيف رد يسوع عليهم . المهم هنا أن الفريسيين سعوا لتنفيذ جزئي للشريعة لاختبار يسوع ، بدلاً من الالتزام الكامل بها لإطاعة الله وإرضائه .

الكتابة على الارض

كما هو الحال دائمًا مع كُتّاب الأناجيل ، فإنهم لا يذكرون أي تفصيل ، مهما بدا غير مهم ، دون سبب وجيه . يجب أن نتذكر أنه عندما كُتبت الأناجيل ، كانت مواد الكتابة مكلفة للغاية . سواء كانوا يكتبون على الرقوق (جلود الحيوانات) أو على ورق البردي ، كان على هؤلاء الكُتّاب في القرن الأول أن يكونوا حريصين جداً على مساحة الكتابة المتاحة لديهم لذلك ، اقتصروا على كتابة الأمور التي كانت ذات أهمية حقيقية ولا يمكن الاستغناء عنها .

من التفاصيل الدقيقة التي يسجلها يوحنا لنا في هذه الرواية هو كتابة يسوع على الأرض بإصبعه . وبما أنني دائمًا استخدم الكتاب المقدس لكي افسر الكتاب فبلا شك كان يوحنا الانجيلي يحاول لفت انتباهنا إلى شيء مهم في الكتاب المقدس من خلال ذكر هذه التفصيلة التي تبدو بسيطة . وكما سنرى لاحقًا ، يحمل هذه التفصيلة الصغيرة دلالة لاهوتية كبيرة ، ليس فقط بشأن متهمي المرأة ، ولكن أيضًا بشأن هوية يسوع نفسه . إذن ، ما الذي يحاول يوحنا إخبارنا به هنا؟

عند البحث في الكتاب المقدس عن إشارة إلى الكتابة على التراب ، نجد آية مثيرة للاهتمام في إرميا : أَيُّهَا الرَّبُّ رَجَاءُ إِسْرَائِيلَ ، كُلُّ الَّذِينَ يَتْرُكُونَكَ يَخْزَوْنَ . «الْحَائِدُونَ عَنِّي فِي التُّرَابِ يُكْتَبُونَ ، لأَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ يَنْبُوعَ الْمَيَاهِ الْحَيَّةِ» . (إرميا 17 : 13) . تشير هذه الإشارة إلى أن من تُكتب أسماؤهم في التراب هم أولئك الذين ابتعدوا عن الرب ، ويمكن اعتبارها نقيضًا لأولئك الذين تُكتب أسماؤهم في سفر الحياة لأنهم رجعوا إلى الرب .

تذكّر أن الرجوع إلى التراب الذي أُخذ منه الإنسان كان من أوائل العقوبات التي أُعلنت ضد آدم — وضد الجنس البشري بأكمله — بسبب خطيئته في جنة عدن . كان حكم الرب على آدم : بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا . لأَنَّكَ تُرَابٌ ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ (تكوين 3 : 19) . لذلك ، فإن كتابة العصاة في التراب تعني الحكم عليهم بسبب خطاياهم بنفس الدينونة التي تلقاها آدم . بمعنى آخر ، إذا كان كتابة الاسم في سفر الحياة يعني الخلاص ، فإن كتابة الاسم في التراب يعني الهلاك الأبدي .

لكن كيف يرتبط هذا بكتابة يسوع على الأرض في قصتنا؟

كما ذكرتُ أعلاه ، من الواضح من الرواية في إنجيل يوحنا أن يسوع كان يكتب على تراب الأرض ("التراب" في الآية من إرميا المذكورة أعلاه) . ما يحاول يوحنا الإشارة إليه في هذا المقطع هو أن الرب في العهد القديم أدان للهلاك أولئك الذين ابتعدوا عنه ، وبالمثل ، كان يسوع يدين اليهود الذين جاءوا لاختباره في هذه القصة . لقد ابتعد الكتبة والفريسيون الذين أحضروا المرأة إلى يسوع بوضوح عن الرب وشريعته . لم يكن لديهم اهتمام حقيقي باتباع شريعة الرب ، بل كان لديهم رغبة قوية في إيجاد شيء ضد يسوع لإدانته بالموت! مختبئين خلف ستار رغبتهم الظاهرة في فعل البر ، كانوا يرتكبون الإثم . وبالتالي ، كانوا يستحقون تمامًا أن تُكتب أسماؤهم في التراب كما فعل أسلافهم . لكن هناك دلالة أعمق لهذا التفصيل الدقيق .

إذا كان الذين ابتعدوا عن الرب يستحقون أن تُكتب أسماؤهم في التراب ، فإن كتابة يسوع في التراب للكتبة والفريسيين الذين كانوا يتآمرون ضده كان بمثابة إعلان أنه واحد مع إله العهد القديم! لقد كانت قلوبهم "حائدة " عنه بنفس الطريقة التي حادت بها قلوب آبائهم عن الرب في أيام إرميا . يصبح من السهل الآن رؤية أن يسوع كان يُساوي نفسه بالرب ، إله إسرائيل .

من خلال هذه الإشارة الصغيرة ، كان يسوع يستخدم إصبعه ليُظهر أكثر من مجرد فعل الكتابة على الأرض ؛ كان يُشير بإصبعه إلى هويته الحقيقية . ولكن إذا قرأنا المقطع بدقة أكبر ، سنرى أن يوحنا لم يهدر أي مساحة كتابة عندما سجل لنا تفصيلاً أصغر : الكتابة بإصبعه .

دائمًا ما أجد نفسي مندهشًا من اهتمام كتّاب الأناجيل بالتفاصيل ، وأعتبر ذلك مذهلاً في الواقع . لاحظ أنه كان بإمكان يوحنا أن يكتفي بالقول إن يسوع "كتب على الأرض ." فكيف يمكن لأحد أن يكتب على الأرض إلا بإصبعه؟ لكن هذا ليس ما كتبه يوحنا . ما كتبه هو أن يسوع "كتب **بإصبعه** على الأرض ." ليس هذا فقط ، بل سجل هذا التفصيل مرتين بنفس اللغة ، مكررًا النص حرفيًا (انظر يوحنا 8 : 6 ، 8) .

لماذا شعر يوحنا بأهمية كتابة هذا التفصيل ليس مرة واحدة بل مرتين؟ كما هو الحال دائمًا ، أفضل شيء يمكننا فعله هو البحث في الكتاب المقدس لنجد الأمثلة الأخرى التي نجد فيها إشارة إلى الكتابة بإصبع على الأرض . ربما قد عرفت ان الجواب — كما هو الحال دائمًا — في العهد القديم . لننتقل معًا إلى سفر الخروج .

إصبع الله

بعد أن قضى موسى أربعين يومًا وأربعين ليلة على جبل سيناء في حضرة الرب لتلقي سلسلة من الوصايا ، بما في ذلك الوصايا العشر وتعليمات بناء خيمة الاجتماع ، نقرأ في ختام الرواية : ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ : لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللهِ . (خروج 31 : 18 ؛ انظر أيضًا تثنية 9 : 10) .

لتقديم عهد مادي ودليل تذكيري لشعبه إسرائيل بشأن العهد الذي قطعه معهم ، أعطى الرب موسى لوحين ماديين من الحجر نُقشت عليهما الوصايا العشر بإصبع الله . كان هذا مماثلاً لتقديم نسخة مكتوبة من شروط الاتفاق لكل طرف من أطراف العقد .

على هذين اللوحين ، وضع الرب شروط العهد الذي كان بينه وبين إسرائيل ، أي الوصايا التي يجب عليهم الالتزام بها . كما أظهر ذلك ، بصفته الإله السيد ، أن الرب هو مؤلف الشريعة (المشرّع الوحيد) الذي يمتلك السلطة لإقامة الشريعة بمفرده . بمعنى آخر ، لم يكن للإسرائيليين دور في كتابة الشريعة مع الرب . بدلاً من ذلك ، أُعطيت لهم الشريعة التي يجب أن يطيعوها . **الرب هو الله ؛ وليس هم!**

إذا قارنا هذه الرواية بما ورد في إنجيل يوحنا ، يتضح أن يسوع كان يدعي لنفسه نفس السلطان والسيادة التي كان للرب في العهد القديم . بالإشارة إلى أن يسوع كان يكتب بإصبعه على الأرض ، كان يوحنا يحاول أن يخبر قراءه بأن يسوع ، عندما جاء إليه اليهود يطلبون حكمًا ، كان من خلال صمته يذكّرهم بفعل الرب في العهد القديم عندما كتب بإصبعه ، معيداً تجسيد نفس المشهد . جاءوا ليسألوه عن حكم ، لكنه كان يذكّرهم بأنه هو الديّان عندما كتب على الأرض ، تمامًا كما كتب الرب على لوحي الحجر!

قبل أن نختتم نقاشنا ، سأعود إلى مقطع إرميا المذكور أعلاه للمرة الأخيرة لاستنباط دلالة لاهوتية أخيرة ، ليست متعلقة هذه المرة بألوهية المسيح ، بل بألوهية الروح القدس .

الماء الحي

غالبًا ما يُطلب من المسيحيين إثبات من الكتاب المقدس أن الروح القدس هو الله بالكامل مثل يسوع والآب . المقطع الذي اقتبسته من إرميا يقول إن الذين يبتعدون عن الرب يُكتبون على الأرض "لأنهم "تركوا الرب ينبوع المياه الحية" (إرميا 17 : 13) . هنا يُشار إلى الرب باعتباره "ينبوع المياه الحية ."

هل من المصادفة أن يشير يوحنا إلى هذا المقطع من إرميا بذكره أن يسوع كتب على الأرض؟ إذا نظرنا إلى انجيل يوحنا قبل بضعة آيات ، سنرى أن الكتاب المقدس لا يحتوي على أي كلمة تُكتب بلا معنى أو دلالة!

يخبرنا يوحنا 7 : 37–38 أنه في اليوم الأخير من عيد المظال الذي يستمر سبعة أيام ، وقف يسوع وصاح : «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ . مَنْ آمَنَ بِي ، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» . قد يكون هذا صعب الفهم ، لكن يوحنا يوضح ما قصده يسوع : قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِدَ بَعْدُ . (يوحنا 7 : 39) .

من هنا نفهم أن "الماء الحي" المشار إليه في كلمات يسوع هو الروح القدس الذي سيقبله المؤمنون يوم الخمسين . إذًا ، "الماء الحي" هو لقب العهد الجديد للروح القدس . ولكن كما قرأنا للتو في إرميا ، فإن "الماء الحي" في العهد القديم هو لقب يشير إلى الرب نفسه .

بوضع مقطع إرميا جنبًا إلى جنب مع هذا المقطع من يوحنا ، يتضح أن الرب في العهد القديم والروح القدس هما متساويان و واحدان في الجوهر . في الإصحاح السابع ، يقدم يوحنا إشارة غامضة إلى الروح القدس بوصفه "الماء الحي" ، والتي قد تبدو لأول وهلة غير مرتبطة بالسياق . وبعد بضعة آيات ، يذكر يوحنا أن يسوع كتب على الأرض بإصبعه ، وهي إشارة إذا تم تتبعها تأخذنا إلى مقطع من العهد القديم في إرميا . هذا المقطع لا يفسر فقط معنى تصرف يسوع بل يسلط الضوء أيضًا على الإشارة السابقة إلى "الماء الحي ."

بعبارة أخرى ، يذكر يوحنا تفاصيل تقودنا إلى هذا المقطع من العهد القديم الذي يشرح دلالات تصرفات يسوع والإشارة المبهمة السابقة إلى الروح القدس . هذه الاستمرارية في السرد تُظهر كيف أن الكتاب المقدس هو كتاب واحد متكامل ، تتشابك خيوطه معًا بشكل وثيق . يمكنك التفكير فيه كبناء مكوّن من طوب متراص فوق بعضه . لا يمكن إزالة أي وحدة منه ولا يمكن فهم أي وحدة بمعزل عن الأخرى .

أفكار ختامية

هذا المقطع ليس مجرد سرد تاريخي أو لغز لاهوتي—إنه مرآة تعكس قلوبنا ، متحديًا إيانا أن نفكر في استجاباتنا تجاه الخطيئة والنعمة والتحول . ومع ذلك ، أترككم مع هذه الأفكار للتأمل :

1 . **كيف تستجيب لخطايا الآخرين؟**

الفريسيون سَعَوا إلى إدانة المرأة ، مدفوعين بالبر الذاتي والرغبة في اختبار يسوع ، وليس بالتزام حقيقي بعدالة الله . تدعونا أفعالهم للتفكر : هل نحن أيضًا نسرع في الحكم على الآخرين بينما نتجاهل خطايانا؟

رد يسوع يُظهر توازنًا بين الحق والنعمة . لم يتجاهل خطيئة المرأة ، لكنه لم يُدنها أيضًا . بدلاً من ذلك ، دعاها إلى التوبة برأفة .

- هل تتعامل مع الآخرين بتواضع ، مُدركًا نقصنا المشترك ، أم أنك تقف كمتهم ، ناسياً أنك أيضاً قد غُفر لك الكثير؟ فكّر في شخص في حياتك تعثّر . كيف يمكنك أن تُظهر له تعاطفًا يشبه تعاطف المسيح مع تشجيعه بلطف على التوبة ؟

2 . **هل تعترف بيسوع كغافر للخطايا والقاضي العادل؟**

في هذه القصة ، يظهر يسوع سلطانه كالقاضي الأعلى ، وفي الوقت نفسه يكشف عن قلبه كغافر للخطايا . لم يتغاضَ عن مطلب البر و القداسة ، ومع ذلك كان تركيزه على توبة المرأة وليس هلاكها .

هذا الدور المزدوج ليسوع كقاضٍ ومخلّص يدعونا للاستجابة بتقوى وامتنان . نعم ، نسمع كثيراً عن محبة الله ورحمته ونعمته ، ولكن نادراً ما نتذكر أنّ الله أيضًا قاضٍ مخيف ونار آكلة . دعوني أذكركم بأن رحمة الله لا تنفصل عن عدله ؛ يسوع ذاته الذي يغفر الخطايا يدعونا إلى حياة القداسة .

- هل ترى يسوع كقاضيك الشخصي ومخلصك؟ كيف يؤثر هذا الفهم على علاقتك به؟ خصص وقتًا للصلاة ، شاكراً يسوع على رحمته وملتمساً إرشاده لتعيش حياة تعكس قداسته .

3 . **هل اختبرتَ ماء الروح القدس الحي الذي يغيّر من الداخل؟**

الإشارة إلى "الماء الحي" ترمز إلى قوة الروح القدس المُغيرة ، الذي يوبخنا على الخطية ، ويجدد قلوبنا ، ويمنحنا القوة لنعيش في طاعة . يسوع لم يكتفِ بمغفرة المرأة ، بل دعاها لترك حياة الخطية . فالغفران الحقيقي يدعو دائمًا إلى التحول . كمؤمنين ، الروح القدس هو مصدر الماء الحي الذي يطهرنا ويمكّننا من السير في حياة جديدة .

- هل تسمح للروح القدس بالعمل في داخلك ، أم أنك تقاوم قوته المُغيرة؟
- هل هناك مجالات في حياتك لا تزال تجاهد فيها لتخضع بالكامل لقيادة الروح؟

تأمل في يوحنا 7 : 37–39 وإرميا 17 : 13 . اطلب من الروح القدس أن يملأك من جديد ، ليُثمر في حياتك ثمار التوبة والبر .

اودُّ أن أقول إن هذا المقال أطول بكثير مما كنت أنوي . ولكن إذا بقيتَ معي حتى هذه المرحلة ، فهذا ربما علامة على أن نفسك جائعة لكلمة الله . كتابة مقالات كهذه هي بناء لي انا شخصياً ، لأنها تحفزني على دراسة كلمة الله والبحث في الكتاب المقدس كما أمرنا الرب يسوع . آمل أن يكون هذا المقال قد كان بناءً ومشجعًا لكم للعودة إلى كتابكم المقدس والتعمق فيه!

أصلي أن تأخذنا هذه القصة إلى ما هو أبعد من الإعجاب بحكمة يسوع ؛ دعها تلهمك لتعيش بطريقة تعكس رحمته وتواضعه وحقه . ليتنا جميعًا نكون أشخاصًا ، مثل هذه المرأة المغفورة لها ، نسمع كلمات يسوع : "اذهبي ولا تخطئي أيضًا" ، ونستجيب بحياة تكرّمه . لتكن محبة الله الآب ، ونعمة ابنه يسوع ، وشركة الروح القدس معكم جميعًا . آمين .